التسامح عمد المسلمين وغيرهم: دراسة مقارنة،

د. تيسير محجوب ياسين الفتيان، حامعة العلوم التطبيقية الخاصة، الأردن

الملخص:

قامت هذه الدراسة بتناول موضوع التسامح عند المسلمين وغير المسلمين - دراسة مقارنة - وذلك من خلال الأدلة المعتمدة لدى المسلمين والأدلة المعتمدة لدى غيرهم .

وقد تناول الباحث في هذه الدراسة المقارنة تعريف التسامح عند المسلمين من جهة وعند اليهود والمسيحيين من جهة أخرى لغة واصطلاحًا، ثم الأدلة على التسامح عند الجهتين والفرق بينهما في المجال التطبيقي، وذلك من خلال مقدمة وخمسة مطالب تفرعت إلى مسائل، وخاتمة توجت بنتائج وتوصيات.

أما غاية البحث من كل ذلك فهي لتبيان نقاط التشابه والاختلاف في التسامح في مجالي النظرية والتطبيق عند المسلمين وعند غير المسلمين حتى يكون مفتاحًا للباحثين للبحث في مثل هذه المقارنات المفيدة .

الكلمات المفتاحية

التسامح: لغة واصطلاحًا.
النظرية
التطبيق

SUMMARY

This study is based on the issue of Moslem and non Moslem tolerance-a comparison study- that is through the accredited evidence of Moslems and non Moslems.

The researcher in this study dealt in this comparison the definition of moslem tolerance in the one hand and Jews and Christians in the other hand in language and convention and the evidence of tolerance of the two sides and the differences in the field of application, that is through an introduction five requirements which divided into issues and an end crowned by results and recommendations.

The aim of the research is to clear out the points of similarity and difference in theory and application of non Moslems So it will be a key for researcher in those useful comparisons.

KEY WORDS
Tolerence : in language and convention
Theory
Application

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى شرع لعباده دينًا قويمًا، وهداهم صراطًا مستقيمًا، من اتبعه رشد واهتدى، ومن ضل عنه فقد خسر خسرانًا مبينا، وهذا الدين الذي بعث الله به سيد المرسلين دين خاتم مهيمن على جميع الأديان قبله، وهو رسالة الله الخاتمة إلى قيام الساعة، واقتضى ذلك أن يكون في هذه الرسالة من الخصائص والسمات ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان إلى جميع أمم الأرض، ومن أعظم هذه الخصائص وأجلها السماحة واليسر في كل شأن من شؤون الحياة في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب مع المسلمين وغير المسلمين.

واقتضت سُنّة الحياة أن يكون وجود الناس على هذه الأرض في شكل تجمّعات بشرية، وهي وإن اتّفقت في ما يجمع بينها من وحدة الأصل، والحاجة إلى التجمّع، والحرص على البقاء، والرغبة في التّمكّن من مقوّمات الحياة، والسّعي في إقامة التمدّن والعمران، والتَّوق إلى الارتقاء والتقدّم، فإنها قد تباينت في ما تتفرّد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وبيئية وثقافية. وقد صرّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة الوجودية فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(1).

O mankind! We have created you from a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know one another. Verily, the most honourable of you with Allâh is that (believer) who has At-Taqwâ [i.e. he is one of the Muttaqûn (the pious. See V.2:2)]. Verily, Allâh is All-Knowing, All-Aware. ...49:13

وهكذا نلحَظ، أن الغاية من اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل وتنوعهم إلى ثقافات ومَدَنيات إنما هو التعارف لا التَّناكر، والتعايش لا الاقتِتَال، والتعاون لا التَّطاحن،

والتكامل لا التعارض، وبات واضحاً أن أهمية التسامح الديني تتمثّل في كونه ضرورياً ضرورة الوجود نفسه.

وواقع الحال يشهد على التباين الواضح في التسامح بين النظرية والممارسة عند المسلمين وعند غير المسلمين وهو ما دعا الباحث للخوض في هذا الموضوع وقد تناوله بشكل دراسة مقارنة مستشهدا بالأدلة والبراهين على إثبات وصدق ما توصل إليه

سبب اختيار الموضوع

إن المتمعن في أحوال العالم اليوم ليذهل ويصدم من هول وروع ما يرى من اقتتال وحب التسلط والتفنن في القهر، والتهافت على السلطة، والطمع في ثروات الغير بدون رادع أو وازع ديني، كل ذلك بسبب تردي الأخلاق وانعدام القيم وعلى رأسها التسامح والعفو والصفح، وهذا ما دعا الباحث أن يأخذ بزمام هذا الموضوع ليبين أهميته وأثره في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم على حد سواء.

أسئلة البحث

1- ما هو التسامح؟
2- ما الكلمة المضادة للتسامح؟
3- هل خشت الأديان جميعها على التسامح؟
4- ما هي الأسباب التي تدعو إلى عدم التسامح؟
5- كيف نتسامح؟
6- ما هو تقييمنا للتسامح في عصرنا الراهن؟

وتسهيلا للبحث وإيصاله إلى الأفهام ارتأى الباحث أن يقسمه إلى المطالب والمسائل الآتية:

المطلب الأول: التسامح تعريف وبيان وفيه مسألتان.

المطلب الثاني: التسامح في الأديان الأخرى.

المطلب الثالث: التسامح بين النظرية والممارسة، وفيه مسألتان:

المطلب الأول: تعريف وبيان، وفي مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف التسامح لغة:

السَّماحة لغة:«السين، والميم، والحاء: أصلٌ يدلُّ على السلاسةِ والسهولةِ»[2]

ويُقال أيضًا: سَمُحَ وأسمح: إذا جاد وأعطى عن كرمٍ وسخاءٍ؛ لسهولة ذلك عليه.

قال الجوهري في «الصِّحاح»: «السَّماحُ والسَّماحَةُ: الجود، وسَمَحَ به: أي جاء به، وسَمَحَ لي: أعطاني، وما كان سَمْحًا..، والمُسامحةُ: المُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا»[3]

والعفو: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس[4]

تعريف التسامح اصطلاحًا:

التسامح في الاصطلاح يقال على وجهين:

الأوَّل: الجود عن كرمٍ وسخاءٍ[5].

الثاني: التَّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها الَّتي تتجلَّى في التَّيسير وعدمِ القهر، وسماحةِ المسلمين الَّتي تبدُو في تعاملاتهم المختلفة، سواء مع بعضهم، أو مع غيرهم من أصحاب الدِّيانات الأُخرى.

والتسامح في أكثر تعريفاته رواجًا: هو احترام حرية الآخر وطرائق تفكيره وسلوكه وآرائه السياسيّة والدينيّة[6] . ويقصد بالاحترام في هذا السياق قبول الرأي المختلف حتى إن كان خلاف رأيك، دون أن يعني ذلك اعتناق هذا الرأي المخالف أو التنازل عن الرأي الشخصيّ .وظاهر الأمر أن مفهوم التسامح في أصل تداوله اللغوي يحمل معنى ترك الحرية للآخر بشكل غير مريح، وفيه قدر من الضغط على النفس، وهذا ما نفهمه من دلالة فعل تسامح tolérer) ، فقد استعير من اللاتينية سنة 1393م وكان يدل وقتها على المعنيين؛ حمل وتحمّل، وانتقل الفعل إلى اللغة الفرنسية حاملاً معه المعنى اللاتيني "تحمّل في عناء"، وحمل على مدى فترات زمنية لاحقة معاني أخرى.

وفي أواخر القرن التاسع عشر استعاد الفعل " تسامح" دلالة استخدامه الأولى وهي " تحمّل شيء ما" عام 1872م (7).

ويمكن أن نعرّف التسامح بأنّه: سلوك يتمثّل في أن نترك للآخر حرية التعبير عن آرائه التي لا نشاركه فيها، وأن نتركه يعيش حسب مبادئ لا نتبنّاها(8).

وأما من ناحية المفهوم، فقد عرّف التسامح بتعريفات عدة تخضع لزاوية نظر المعرّف، وفلسفته، واهتمامه المعرفي. إلا أنّ تعدد التعريفات لم يمسّ بجوهر الفكرة نفسها من حيث هي "قبول اختلاف الآخرين، سواء في الدين أم العرق أم السياسة، أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم."

وحسب إعلان مبادئ التسامح الذي صدر عن اليونسكو (9)"إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوّع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد"...

ومن الضروري للباحث، في صلة التسامح بالحريّة، أن يستحضر السياق التاريخي الذي ترسّخت فيه هذه الصلة في أوروبا بعد الحروب الدينيّة التي تقاتل خلالها أتباع المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي. فقد ذاق الأوروبيون ويلات التعصب الديني ودفعوا ضريبة غالية للوصول إلى مرحلة الاقتناع بأن الحلّ الوحيد يكمن في التسامح مع الاختلافات الفكريّة والعقائديّة والسياسيّة.

وفي هذا الصدد يذهب علي أومليل:" إلى أنّ مفهوم "توليرانس" "هو وليد حركة الإصلاح الديني الأوروبي. وقد نشأ ليعبّر عن تغير في الذهنية ناتج عن علاقة جديدة. وهي علاقة الاعتراف المتبادل بين القوى التي استمرّت تتصارع طوال القرن السادس عشر للميلاد، أي إبان الحروب الدينيّة الأوروبيّة. لقد حدث انشقاق داخل الدين الواحد ثم حدث تجاوزه بالاعتراف بالحق في الاختلاف في الاعتقاد ثم في حرية التفكير بوجه عام"(10).

المطلب الثاني: التسامح في الأديان الأخرى

إن الأديان بحكم إنتمائها إلى السماء، فإنها لا تأمر إلاّ بالخير والحق والصلاح ولا تدعو إلاّ بالبِرّ والحب والرحمة والإحسان، ولا توصي إلا بالأمن والسلم والسلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتَّثاقف ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، كما يكمن في عُقم إفهام بعض القائمين عليها وما زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تُحصى(11)(

إن الإسلام لم يكن وحده في اشتماله على مبادئ التسامح، كما أشرنا، فالمسيحية التي تقول أناجيلها: لقد قيل لكم من قبل إن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك وإن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين(12).

- من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان(13).

- عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم(14).

هذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمّن مبادئ التسامح في أَجْلى صوره، بل إنه تسامح يبدو أحياناً فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة، ولا غرابة في ذلك لأن الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

وكذلك فإن اليهودية تدعو إلى التسامح، فإذا نظرنا إلى مثل هذه الوصايا..

- كل ما تكرهُ أن يفعلهُ غيرك بك فإياك أن تفعلهُ أنت بغيرك(15).

- اغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرَّ أفكاركم، وكفّوا عن الإساءة، وتعلّموا الإحسان والتمسوا الإنصاف(16).

وهكذا.....بات واضحاً أن التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفِطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وحتّمته وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة.

المطلب الثالث: التسامح بين النظرية والممارسة، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التسامح الغربي

لا يجد المرء كبير عناء في إثبات الفشل الغربي في التوفيق بين التنظير للتسامح وتطبيقه على أرض الواقع، فالهوة بينهما عميقة والبون شاسع مما يجعل أمر إدراك الفصل هينًا ميسورًا.

تقول النظرية: إنّ التسامح "موقف يتجلى في الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة فيما يتعلّق باختلافات السلوك والرأي دون الموافقة عليها". وتقول: "باحترام وتقدير وقبول التنوع الثري لثقافات عالمنا، ومختلف أنماطنا التعبيرية، وطرق تحقيق كينونتنا الإنسانية".

مما يعني أن نظرية التسامح تقرّ بوجود الاختلاف بين البشر في ثقافاتهم وحضاراتهم، وتقبل التنوع بين أنماط العيش المختلفة والسلوكيات المتباينة بين البشر لتباين وجهات نظرهم عن الحياة، إلا أنّ الممارسة العملية تهدم هذا التصور بكلّ مدلولاته ومعانيه وأسسه التي قام عليها.

فالدعوة إلى الاندماج في المجتمع الغربي التي تفيد الذوبان في ثقافة المجتمع وحضارته، والتي تفيد تخلي المسلم عن هويته أي عن عقيدته، وثقافته، وحضارته، وقيمه، على النقيض تماما من نظرية التسامح التي نظّر لها الغرب بمفكريه ومؤسساته المحلية والعالمية.

عندما نعود للفكرة التي طرحها فولتير[17] والتي يتساءل فيها عن مفهوم التسامح:

(ما هو التسامح؟ ويجيب: إنه نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية، إننا جميعاً من نتاج الضعف، كلنا هشّون وميالون للخطأ، ولذا دعونا نسامح بعضنا البعض ونتسامح مع جنون بعضنا البعض بشكل متبادل) نحاول مساءلة الثقافة التي أنتجته والحضارة التي ترعرع بين أحضانها، لنجد بأنه العالم الغربي المتشبع بالثقافة الرومانية المتسمة بالسيطرة والقوة .هذه الثقافة التي تدخلت بشكل مميز في تشكيل العقل الغربي

والحضارة الرائدة والقائدة في التاريخ الحديث بما أبدعته فكريا وتكنولوجيا واقتصاديا .لكن إلى أي حد كان الفكر الغربي وفيا لمثله وقيمه الحضارية التي دعا إليها مفكروه ؟ المسألة هنا لا تحتاج الى إعمال كبير للفكر، يكفي أن نستقرئ بعض الأحداث على المسرح الدولي قديمًا وحديثًا لنستنتج أن الفكر والممارسة عند الغرب سياسيا بينهما بون شاسع، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن إعلان الثورة الفرنسية يقول بأن " الناس يولدون ويبقون أحرارًا ومتساوين في الحقوق"[18]. لكن في الممارسة تطغى فكرة الاستعباد والاستعلاء ولنا في بلداننا خير شاهد على معاملة الغرب الاستعمارية واستغلال لخيراتها بشكل يضرب تنظير مفكري عصر التنوير في الصميم .

والحملة المتواصلة على الإسلام في بلاد الغرب أكبر شاهد على هذا التناقض بين الفكر والممارسة. وما يرى من تشويه لصورة الإسلام في وسائل الإعلام، ومن تصريحات يومية تطعن فيه وفي أهله، لا يدلّ مطلقا على احترام وتقدير لبقية الثقافات المغايرة لثقافة الغرب.

ومشكلة"الحجاب" التي أثيرت بقوة مؤخرًا في بلاد الغرب خرق فاضح لنظرية تقوم على حرية التدين، وتنصّ على أنّ التسامح "يعني أن نقبل بأن البشر من طبيعتها أن تختلف في المظهر، والحالة، والكلام، والسلوك والقيم." والأغرب من منع الخمار رؤية رافران رئيس الوزراء الفرنسي الذي اعتبر "أن الحجاب الإسلامي في مدارس الدولة أصبح تحديا سياسيا للقيم الأساسية الفرنسية ممثلة في الانفتاح والتسامح"[19]. وهذا القول يعتبر تزييفًا فاق الحدود فيما يمكن تصوره من مخالفة النظرية للممارسة.

وما تقوم به أميركا وإنجلترا في العراق، وما يراد بالعالم الإسلامي ككل من حمله على تطبيق الديمقراطية والعلمانية، وتغيير مناهج تعليمه، ليس إلا كليانية Totalitarianism.[20] وهو من باب فرض أيديولوجية معينة على الشعوب من أجل التحكم في طاقاتها ومواردها .

لقد كان من الصعب على الغرب أن يوفق بين نظرية التسامح وعقيدة الأمن القومي عند الأميركيين Doctrine of American National Security التي ترى في وجود النفط بالعالم الإسلامي "غلطة الرب"، أو أن يوفق بين نظرية التسامح الأخلاقية وأس السياسة عنده المتمثّل في الميكيافلية التي تقضي "بإيثار الغشّ والخداع والمراوغة والتسويف وسوء النية والدهاء والأنانية في تحقيق الأهداف المنشودة، دون إقامة أي اعتبار لنداء الضمير أو مبادىء الدين والأخلاق، على أساس أنّ الغاية تبرّر الوسيلة"(21).

لذلك، كان على الغرب أن يرجح بين نظرية التسامح والمصلحة، فاختار المصلحة واحتل أفغانستان والعراق، ودعم الكيان الصهيوني والدكتاتوريات في العالم الإسلامي.

وأما نظرية التسامح فلم يلغها أو يبطل الدعوة إليها إنما استعملها وفق مقياسه النفعي كقناع وشعار زائف يستر حقيقة أهدافه الاستعمارية، ويخفي أطماعه الرأسمالية. فهي كإنجيل الرجل الأبيض الذي قال فيه سيمونز:""جاء الرجل الأبيض إلى إفريقيا وبيده الإنجيل ... ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض للرجل الأبيض، وأصبح الإنجيل بيد الزنجي!"

المسألة الثانية: التسامح عند المسلمين.

إن الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمل بين طياته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم الأكبر.

فمن أشهر هذه القوانين هو قانون: اللين واللاعنف والتسامح الذي أكدت عليه الآيات المباركة فضلاً عن الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

حث القران الكريم على التسامح من خلال دعوته المسلمين إلى الالتزام بالعديد من المفاهيم والقيم والقواعد التي تجسد التسامح كقيمة دينيه أخلاقية اجتماعية ومنها:

الإقرار بالتعدد التكليفي كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾(22)،

but they will not cease to disagree... Except him on whom your Lord has bestowed His Mercy (the follower of truth - Islâmic Monotheism) 11: 118- 119

والتعدد التكويني كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(23).

We have created you from a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know one another... 13:49

(ولا نزال نرى في القرآن الحكيم خير دعوة علمية وعملية إلى اللاعنف والسلم). ومن هذه الآيات:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(24).

Invite (mankind, O Muhammad صلى الله عليه و سلم) to the Way of your Lord (i.e. Islâm) with wisdom (i.e. with the Divine Revelation and the Qur'ân) and fair preaching, and argue with them in a way that is better...16:125

ويقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾(25) .

...and when the foolish address them (with bad words) they reply back with mild words of gentleness. ...25:63

ويقول: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(26) .

And argue not with the people of the Scripture (Jews and Christians), unless it be in (a way) that is better (with good words and in good manner, inviting them to Islâmic Monotheism with His Verses),...29:46

ويقول: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾(27) .

Show forgiveness, enjoin what is good, and turn away from the foolish (i.e. don't punish them). ...7:199

ويقول: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (28).

And insult not those whom they (disbelievers) worship besides Allâh, lest they insult Allâh wrongfully without knowledge....6:108

ويقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.(29).

And by the Mercy of Allâh, you dealt with them gently. And had you been severe and harsh-hearted, they would have broken away from about you; so pass over (their faults), and ask (Allâh's) Forgiveness for them;...3:159

ويقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (30).

Let them pardon and forgive. Do you not love that Allâh should forgive you?...24:22

ويقول: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(31)(.

so overlook (O Muhammad صلى الله عليه و سلم... their faults with gracious forgiveness 15:85)

ويقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(32).

[112], who repress anger[113], and who pardon men; verily, Allâh loves *Al-Muhsinûn* [3](the good-doers). ...3:134

ويقول: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(33)...

And verily, whosoever shows patience and forgives, that would truly be from the things recommended by Allâh. ...42:43

إلى غيرها وغيرها من آيات الذكر الحكيم.

وأما السُّنَّة فقد حفلت بأحاديث نبوية كثيرة لتأكيد مفاهيم العفو والتسامح والصفح عن المسيء، وعدم الظلم...، وإقامة أركان المجتمع على الفضل، وحسن الخلق ومنها:

عن جابر بن عبد الله -(رضي الله عنه)ما-: أنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى (34).

وعن ابن مسعود ((رضي الله عنه))، عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: «أَلَا أُخْبِرُكُم عَلَى مَنْ تَحْرُمُ النَّارُ؟»، قالوا: بلى، قال: «عَلَى الهَيِّنِ اللَّيِّنِ، السَّهْلِ القَرِيبِ .«(35).

وعن عائشة (رضي الله عنها)ا قالت: ما ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى. رواه مسلم(36)

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كأني انظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحكي نبياً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (37).

وعن أبي هريرة ((رضي الله عنه)) أن رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) قال :"ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"(38).

ويبين ((صلى الله عليه وسلم) أن العفو يورث العز، فعن أبي هريرة ((رضي الله عنه)) قال: قال رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)):"ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله."(39).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. وكان (صلى الله عليه وسلم) يعفو عن اليهودي أو المشرك طمعاً منه في دخوله

الإسلام، وكان يعفو كذلك إذا جهل عليه أحد الأجلاف من الأعراب حتى يثبت الإيمان والإسلام في قلبه. وكذلك كان يعفو عن أصحابه ليزدادوا حُباً له. والأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

وأما السلف الصالح السلف الصالحُ وهُم عُلماءُ الإسلامِ وبمعنى آخر هم الصحابة والتابعون وتابع التابعين، ومن بعدهم أتباع السلف الصالح. وهم الذين مثلوا الإسلام أحسن تمثيل في صدقهم وعدلهم وحسن عبادتهم وكرم أخلاقهم وطيب معشرهم، فأصبحوا قدوة هذه الأمة تستنير برأيهم وتستهدي بهديهم وتحذو حذوهم. فما أجدرنا - نحن مسلمي اليوم - أن نقتبس منهم بعض الأمثلة حول الصفح والتسامح والعفو والحلم! فهم خير من يقتبس منهم ويقتدى بهم.

- فهذا ابن مسعود ((رضي الله عنه)): ذهب ليشتري الطعام فلما أراد أن يدفع الثمن وجد أن الدراهم سُرقت، فدعا الناس على السارق، فقال ابن مسعود: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه(40).

فالمسلم هيّن ليّن سمح نقي، سهل عفو قريب من الناس، متودد إليهم، باذل لهم، ناصح إياهم، ملتمس لهم الأعذار في تصرفاتهم.

- قال ابن القيم (رحمه الله): "يا ابن آدم إن بينك وبين الله خطايا وذنوبًا لا يعلمها إلا هو، وإنك تحب أن يغفرها لك الله، فإذا أحببت أن يغفرها لك فاغفر أنت لعباده، وإن أحببت أن يعفو عنك فاعف أنت عن عباده، فإنما الجزاء من جنس العمل.."(41).

-وهذا عمر الفاروق (رضي الله عنه): يعفو عن الناس جميعًا ويقول: كل الناس مني في حل(42).

-وهذا عمر بن عبد العزيز يقول: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها(43).

وقال الشافعي: (44)

قالوا سَكتَّ وقد خُصمْتَ قلت لهم *** إن الجواب لباب الشر مفتاح

فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب *** نعم وفيه لصون العرض إصلاح

إن الأُسود لتُخشى وهي صامتةُ *** والكلب يحثى ويرمى وهو نباح

الخلاصة: ومما تقدم ذكره نخلص إلى الآتي:

1- مفهوم التسامح: هو تيسير الأمور والملاينة بها التي تبدو في تعاملات المسلمين سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى وغيرهم.

2- التسامح ليس مقصورًا على الدين الإسلامي وحده، بل جاءت به الأديان السماوية الأخرى فقد أرادته الحكمة الإلهية، واقتضته الفِطرة الإنسانية، واستوجبته النشأة الاجتماعية، وفرضته المجتمعات المدنية، وحتّمته وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة.

3- اللين والتسامح والصفح والعفو الذي أكدت عليه آيات القرآنالكريم وليد نوعين من الإقرار:

أ- الإقرار بالتعدد التكليفي.

ب- الإقرار بالتعدد التكويني.

4- حفلت السنة بأحاديث نبوية كثيرة لتأكيد وترسيخ مفاهيم العفو، والتسامح، والصفح عن المسيء، وعدم الظلم، والصبر على الأذى، واحتساب الأجر من الله تعالى، وإقامة أركان المجتمع على الفضل، وحسن الخلق. وكذلك ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في التسامح قولا وفعلا وأصبحوا قدوة لنا نسترشد بآرائهم ونستهدي بهديهم.

5- فشل الغرب فشلا ذريعًا في التوفيق بين النظرية والممارسة في مجال التسامح على أرض الواقع، فالهوة بينهما عميقة، والبون شاسغ؛ وذلك لطغيان فكرة التشبع بالاستعلاء والاستعباد في العقل الغربي المتأثر بالثقافة الرومانية المتسمة بالسيطرة والقوة.

6- أما المسلمون فقد وفقوا كل التوفيق في الجمع بين النظرية والتطبيق على أرض الواقع في مجال التسامح؛ مما أتاح للإسلام سرعة الانتشار والتغلغل في نفوس معتنقيه.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع وهو (التسامح عند المسلمين وغيرهم) دراسة مقارنة، وقد استعرضنا فيه تعريف ومفهوم التسامح عند المسلمين وغيرهم وركزنا على مدى المطابقة بين النظرية والتطبيق على أرض الواقع وقد توصلنا إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1- التسامح في الإسلام أعلى درجات السلُّمَّ الأخلاقي والذي به استطاع الإسلام أن يتغلغل في نفوس معتنقيه وعدم التخلي عنه تحت أقسى الظروف.
2- الإسلام بريء من كل ما ألصق إليه من تهم الإرهاب والتطرف.
3- الإرهاب والتطرف عند الأفراد وبعض الجماعات الإسلامية هو وليد ازدواجية المعايير التي يقيس بها الغرب، وليس نابعًا من الإسلام نفسه، سيما إذا كان الأمر متعلقًا بالقضية الفلسطينية (قضية العرب والمسلمين المحورية).
4- العنصرية التي نشاهدها اليوم هي وليدة الفكر الغربي المتشبع بالثقافة الرومانية المتسمة بالاستعباد والاستعلاء، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى وعلى رأسها معاملة الأوروبيين للهنود الحمر في أميركا وشعب جنوب إفريقيا.
5- الإسلام في تعامله ينطلق من قوله تعالى: وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عندالله أتقاكم. فهو لا يفرق بين دين ومذهب وعرق وبين لون ولون وجنس وجنس، فالكل سواء والأمثلة على ذلك كثيرة

أما التوصيات فهي:

1- تربية النشء على التسامح منذ الصغر قولا وممارسة، وهذه مسؤولية الآباء والأمهات في البيت ومسؤولية المعلمين والتربويين في المدرسة.
2- على وسائل الإعلام تقع مسؤولية نشر ثقافة التسامح في المجتمعات الإسلامية، وإقامة الندوات وإلقاء المحاضرات وإجراء الحوارات.
3- الدعوة إلى استمرار إجراء الحوارات بين الأديان وتطويرها بين الفينة والأخرى والعمل من خلالها على نفي تهم الإرهاب والتطرف التي ألصقت بالإسلام زورًا وبهتانًا.

المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم.
2) ابن الأثير مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، (1979م)، المكتبة العلمية، بيروت 2/398.
3) البند الأوّل من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بتاريخ 1 ديسمبر 1948 م.
4) ابن منظور – لسان العرب . المجلد 15 – دار صادر – بيروت – ص (72) مادة عفا.
5) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية 1/376.
6) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، (1979م)، معجم مقاييس اللغة دار الفكر 3/99. المكتبة الوقفية.
7) البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، 1993م، دار ابن كثير، رقم 5763.
8) البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب البيوع » باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم 2076
9) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، *سنن الترمذي*، رقم 2488.
10) الجابري، نبيل نعمة، (2008م)، شبكة النبأ المعلوماتية.
11) الصنيع، هناء بنت عبد العزيز، *ماذا تحتسبين في العفو عن الناس*؟ موقع صيد الفوائد.
12) عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت.
13) علي أومليل، الإصلاحية العربيّة والدولة الوطنيّة، ط 3، بيروت، دار التنوير، 1985، ص 111.
14) الغزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي، *إحياء علوم الدين*، 184/3.
15) الفقرة الأولى من المادة الأولى في إعلان "المبادئ حول التسامح "الذي صدر عن الدول الأعضاء في اليونسكو في السادس عشر من نوفمبر عام 1995م.
16) الكتاب المقدّس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري.

17) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، *صحيح مسلم*، رقم 2328
18) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. *صحيح مسلم*، كتاب البر والصلة والآداب، رقم 2588.
19) معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية لسموحي فوق العادة ص24
20) معجم لاروس الصغير، باريس، 1990.
21) هميسة، بدر عبد الحميد، *والعافين عن الناس*، موقع صيدالفوائد
22) ونيس الطاهر عامر، العفو والصفح في القرآن الكريم، جريدة الوطن، صوت عُمان في العالم

المصادر والمراجع بالإنجليزية

Declaration of Principles on Tolerance. Proclaimed and signed by the Member States of UNESCO on 16 November 1995.

المصادر والمراجع بالفرنسية

Voir le robert français dictionnaire historique de la langue française, Paris, 1995, t2, p2127

Bernard Guillemain , idée de tolérance, Universalis, 22/713-714 714

الهوامش

1 [سورة الحجرات: 13].
2 مقاييس اللغة، 3/99.
3 الصحاح، 1/376.
4 لسان العرب . ابن منظور – المجلد 15 – دار صادر – بيروت – ص (72) مادة عفا.
5 النهاية في غريب الحديث، 2/398.
6 انظر معجم لاروس الصغير، باريس، 1990، ص 968.

7 Voir le robert français dictionnaire historique de la langue française, Paris, 1995, t2, p2127

8 انظر Bernard Guillemain , idée de tolérance, Universalis, 22/713-714

9 الفقرة الأولى من المادة الأولى في إعلان "المبادئ حول التسامح "الذي صدر عن الدول الأعضاء في اليونسكو في السادس عشر من نوفمبر عام 1995م

Declaration of Principles on Tolerance. Proclaimed and signed by the Member States of UNESCO on 16 November 1995.

10 علي أومليل، الإصلاحية العربيّة والدولة الوطنيّة، ط 3، بيروت، دار التنوير، 1985، ص 111.

11 الجابري، نبيل نعمة، (2008م)، شبكة النبأ المعلوماتية.

12 مقالة للاستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت.

13 المرجع السابق.

14 الكتاب المقدّس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد - (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري. ص135.

15 المصدر السابق، ص 139.

16 المصدر السابق، ص 139.

17 فولتير اسمه الحقيقي:" فرونسوا ماري أروي"، فيلسوف ومُفَكِّر فرَنْسي، عاش في القرن الثامن عشر، وتَمَيَّزَ نشاطُه الفكري - مثل نظرائه الآخرين - بالعَدَاء الشديد للدِّين، والمناداة بالحياة المدَنِيَّة والعلمانية ...

18 البند الأوّل من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بتاريخ 1 ديسمبر 1948 م.

19 عن صفحة الجزيرة نت 24/2/4م.

20 الكليانية Totalitarianism هي "أحد أشكال الحكم مبني على إخضاع الفرد للدولة، وعلى السيطرة الصارمة على جميع مظاهر حياة الأمة وطاقاتها المنتجة، وذلك على أساس افتراضات أيديولوجية تحكمية معينة تبقي الزعامة تطبيقها وتعلنها في جو من الإجماع المفروض بالإكراه على السكان كافة.... (معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د زكي بدوي، ص427).

21 معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية لسموحي فوق العادة ص249

22 [سورة هود/118و 119].

23 [سورة الحجرات/13].

24 [سورة النحل/125].

25 [سورة الفرقان/63].

26 [سورة العنكبوت/ 46].

27 [سورة الأعراف/199].

28 [سورة الأنعام/108].

29 [سورة آل عمران/159].

30 [سورة النور/22].

31 [سورة الحجر/85].

32 [سورة آل عمران/134].

33 [سورة الشورى/43].

34 فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب البيوع » باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم 2076.

35 الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، *سنن الترمذي*، رقم 2488.

36 رواه مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، *صحيح مسلم*، رقم 2328.

37 متفق عليه، أخرجه البخاري، صحيح البخاري، برقم 3477، ومسلم، *صحيح مسلم*، برقم 1792,

38. البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، 1993م، دار ابن كثير، رقم 5763.

39 رواه مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. *صحيح مسلم*، كتاب البر والصلة والآداب، رقم 2588.

40 الغزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي، *إحياء علوم الدين*، 184/3.

41 هميسة، بدر عبد الحميد، *والعافين عن الناس*، موقع صيدالفوائد.

42 المرجع السابق.

43 المرجع السابق.

44 الصنيع، هناء بنت عبد العزيز، *ماذا تحتسبين في العفو عن الناس*؟ موقع صيد الفوائد.